جامعة سطيف 2/ كلية الآداب واللغات	**قسم اللغة والأدب العربي السنة الثالثة دراسات أدبية**
السداسي الخامس السنة الجامعية 2023/2022	**مقياس جماليات السرد العربي القديم**

المحاضرة الرابعة: القص على لسان الحيوان

الفئة المستهدفة: السنة الثالثة دراسات أدبية

عناصر المحاضرة:

- مفهوم القصة على لسان الحيوان
- القص على لسان الحيوان في الأدب العربي
- كليلة ودمنة لابن المقفع
- الخصائص السردية للقص على لسان الحيوان

1. مفهوم القصة على لسان الحيوان

يعد القص على لسان الحيوان من الأنماط السردية التي عرفتها الآداب القديمة، حيث يلعب الحيوان فيها دورا أساسيا، فهو البطل ومحرك الأحداث، لذلك يعرف القص على لسان الحيوان بكونه كل نص أسند فيه فعل الحكي إلى الحيوان بوصفه راويا أو شخصية.

وترجع البدايات الأولى لظهور هذا النمط إلى ما ظهر في حكايا الحيوان الأسطورية، التي لجأت إلى تعليل الظواهر بإسنادها إلى بعض الحيوانات، لذلك فإن الصورة الأولية لحكايا الحيوان في نشأتها الأسطورية هي " مجرد تفسير فطري لحقائق علمية أو ظواهر طبيعية، وذلك بحسب ما تمليه الرؤى الفكرية للعقل البدائي القديم، أو بتعبير آخر، الشعبي الفطري"

والقص على لسان الحيوان حكايات عرفت عند جميع الأمم الإنسانية، ومنها الأدب العربي، الذي ظهرت فيه فيما عرف بخرافة الحيوان وهي " قصة يمثل الحيوان فيها دورا إنسانيا"، حيث إنها من الأنماط القصصية التي تسند فيها الأفعال والأقوال إلى الحيوان بقصد التهذيب الخلقي والتربوي، أو النقد السياسي والإصلاح الاجتماعي.

2. القص على لسان الحيوان في الأدب العربي:

ترجع البدايات الأولى للقص على لسان الحيوان في التراث العربي إلى ما ورد في الأمثال الجاهلية، ولعل مثل الحية والفأس الذي رواه المفضل الضبي في كتابه الأمثال تحت باب المثل " كيف أعاودك وهذا أثر فأسك"، من بين النصوص التي يدلل بها على البدايات الأولى. كما يمكن أن نستشف من الشعر الجاهلي ما يحيل على توظيف الحيوان بوصفه عنصرا سرديا بارزا في الأحداث، كما هي حال الغول في قصيدة تأبط شرا الصعلوك. ولعل خرافة الحيوان واحدة من أبرز الجذور التي ظهر فيها القص على لسان الحيوان.

إن حكايا الحيوان قد تطورت من نص شعبي فلكلوري إلى نص أدبي علمي له من الإمتاع الفني والجمالية ما نلمسه في الشعر والنثر، مما روي في مصادر التراث من كتب الأدب والأمثال والنوادر والخرافات، حيث إن المتصفح لكتاب الفهرست لابن النديم، سيجد ذكرا للمؤلفين في هذا النمط السردي في العصر العباسي من أمثال، سهل بن هارون بن راهبون، علي بن داود وعبد الله بن المقفع.

3. كليلة ودمنة لابن المقفع

يعد كتاب كليلة ودمنة من أهم الكتب في القص على لسان الحيوان، حيث يعد ابن المقفع " أول من نقل هذا الفن القصصي من مرحلة المشافهة (الشعبية) عند العرب إلى الأدب المدون (الكتابي)، في أول خطوة من نوعها في تاريخ الأدب العربي القديم عامة، والإبداع القصصي خاصة ". وهو من النصوص السردية التي جاءت أحداثها على ألسنة الحيوانات، فأكثر أبواب الكتاب قد سميت بأسماء الحيوان، كباب الأسد والثور، باب القرد والغيلم، باب الحمامة المطوقة. وترجع أهمية هذا الكتاب إلى ما أورده مؤلفه في مقدمته حيث يقول: " ينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وضعت له، وإلى أي غاية جرى مؤلفه فيه، عندما نسبه إلى البهائم، وأضافه إلى غير مفصح، وغير ذلك من الأوضاع التي جعلها أمثالا، فإن قارئه متى لم يفعل ذلك، لم يدر ما أريد بتلك المعاني، ولا أي ثمرة يجتني منها، ولا أي نتيجة تحصل له من مقدمات ما تضمنه هذا الكتاب"[1]، وقد ظهر هذا الكتاب في العصر العباسي وذلك لما فيه من صور الاستبداد والظلم.

4. الخصائص السردية للقص على لسان الحيوان

- **صيغ الأداء:** تتسم القصة على لسان الحيوان ببناء لغوي تستهل به القصة يدرج ضمن صيغ الأداء، وأشهرها " زعموا أن، اضرب لي مثلا"

- **الاستطراد:** حيث نجد أن هناك عدة قصص متداخلة مع بعضها البعض، فينتقل من قصة إلى أخرى كما في باب الحمامة المطوقة.

- **الوظيفة السياسية:** إذ تتجلى في كشف الظلم والفساد اللذين يلفان المجتمع، كما نجد فيه مجموعة من الأفكار والمبادئ السياسية والإدارية بوصفها دستورا تعليميا، لذلك يرى بعض الباحثين أن نشأة القصة على لسان الحيوان كانت مرتبطة بالسياسة،

- **الإمتاع الفني:** امتازت القصة على لسان الحيوان بالإمتاع الفني لما تحويه من عناصر بنائية تصويرية، تقوم على المثل والتشبيه، كما أن رمزيتها الإنسانية وعالمية مضمونها يجعلها من النصوص السردية التي تلقى مساحة اهتمام كبيرة من لدن المتلقي.

- **المتلقي:** يمتاز متلقي القص على لسان الحيوان بكونه من جميع الفئات العمرية والفكرية، فتتعدد مستويات القراءة للنص الواحد، حيث يستمتع بها المتلقي المبتدئ، ويفهمها المتلقي العادي ويؤولها المتلقي الأعلى رمزا وسيمياء.

- **الرمزية:** حيث يمتاز هذا النمط السردي بكونه نصا رمزيا بامتياز، ذلك أن الرمزية قناع يرتديه صاحب الحكاية، فيبدو ظاهر النص لهوا إلا أن باطنه حكمة ونصح وإرشاد.

---

[1] عبد الله بن المقفع، كليلة ودمنة، المقدمة.